المؤرخ «ابن الأثير»

هو «عز الدين، أبو الحسن، عليّ بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الأثير أبي الكَرَم، الشَيْباني، الجَزَرِيّ».

وينسب إلى إقليم الجزيرة الواقع بين نهرَي دجلة والفُرات، المعروف بجزيرة ابن عمر.

قال «ابن خَلِّكان»[1]: والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون: إنها جزيرة ابن عمر، ولا أدري مَن ابنُ عمر. وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين، ثم إني ظفرت بالصواب في ذلك، وهو أن رجلاً من أهل بُرْقَعيد من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فأضيفت إليه، ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابنَي عمر: أوس وكاملٍ، ولا أدري أيضاً مَن هما، ثم رأيت في «تاريخ ابن المستوفي»[2] في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخي أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابنَي عمر بن أوس التغلبيّ.

وكانت ولادته في رابع جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ. (١١٦٠ م.) بجزيرة ابن عمر، وهو من أهلها، ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه، وسكنها، وسمع بها على الشيوخ، وتردّد إلى بغداد حاجّاً ورسولاً من صاحب الموصل، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة، وعاد أخيراً إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً إلى التوفّر على النظر في العلم والتصنيف، وكان بيته مجمع الفضائل لأهل الموصل والواردين عليها.

وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، حيث أقبل عليه في أواخر عُمُره، وسمع العالي والنازل. كما كان حافظاً للتواريخ المتقدّمة والمتأخرة. وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيّامهم ووقائعهم، فصنّف «الكامل في التاريخ» الذي نحن بصدده، واختصر

---

(١) في وفيات الأعيان ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) هو تاريخ إربل المسمّى «نباهة البلد الخامل ممّن ورده من الأماثل». والنص الذي ينقله ابن خلّكان منه ليس في المطبوع الذي حققه سامي بن السيد خماس الصفار ـ طبعة المركز العربي للطباعة والنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بيروت ١٩٨٠.

كتاب «الأنساب» لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني[1]، واستدرك عليه في مواضع، ونبّه على أغلاط وزاد أشياء أهملها، وهو كتاب مفيد جدّاً. قال «ابن خَلّكان»: وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر، وهو في ثلاث مجلّدات، والأصل في ثمانٍ، وهو عزيز الوجود، ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب، ولم يصل إلى الديار المصرية سوى المختصر المذكور.

وأضاف ابن خَلّكان: ولما وصلت إلى حلب في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة كان عزّ الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طُغْريل الخادم أتابَك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب، وكان الطواشي كثير الإقبال عليه، حَسَنَ الإعتقاد فيه، مُكرماً له، فاجتمعتُ به فوجدتُه رجلاً مُكمَّلاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكَثرةِ التواضُع، فلازمتُ الترداد إليه، وكان بينه وبين الوالد، رحمه اللّه تعالى، مؤآنسة أكيدة، فكان بسببها يبالغ في الرعاية والإكرام. ثم إنه سافر إلى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين. ثم عاد إلى حلب في أثناء سنة ثمان وعشرين، فجريت معه على عادة الترداد والملازمة، وأقام قليلاً ثم توجّه إلى الموصل.

وتُوُفّي في شهر شعبان سنة ٦٣٠ هـ. (١٢٣٣ م.) وقد وصفه الحافظ الذهبي بالعلاّمة، المؤرخ، الحافظ، وقال: وكان إماماً، نسّابةً، مؤرخاً أخبارياً، أديباً[2]..

وهو أحد إخوة ثلاثة، اشتهر كلُّ واحد منهم بفنّ من العلوم فعِزّ الدين، صاحب هذه الترجمة اشتهر في فنّ التاريخ، وأشهر مؤلفاته «الكامل في التاريخ».

وأخوه «مجد الدّين»[3] أبو السعادات المبارك، اشتهر برواية الحديث الشريف وعلمه، وأشهر مؤلفاته «النهاية في غريب الحديث والأثر».

وأخوه «ضياء الدين»[4] نصرُ اللّه، أبو الفتح، اشتهر بالأدب والكتابة والترسّل،

---

(١) توفي ابن السمعاني سنة ٥٦٢ هـ/١١٦٦م. وقد حقّق الأجزاء الستة الأولى من كتابه «الأنساب» العلاّمة عبد الرحمٰن المعلمي اليماني، وحقق الجزءين السابع والثامن محمد عوّامة، واشترك معه في تحقيق الجزء التاسع رياض مراد. وحقّق العاشر الدكتور عبد الفتاح الحلو، والحادي عشر رياض مراد ومطيع الحافظ، والثاني عشر الأخير أكرم البوشي. ونشره محمد أمين دمج كاملاً في بيروت ـ طبعة أولى وثانية ١٤٠٠ ـ ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤ م.

(٢) تاريخ الإسلام (٦٢١ ـ ٦٣٠ هـ) رقم ٥٩٩.

(٣) توفي سنة ٦٠٦ هـ.

(٤) توفي سنة ٦٣٧ هـ.

ووُلّي الوزارة. وأشهر مؤلفاته «المَثَل السائر في أدب الكاتب والشاعر».

ومن مؤلفات «عز الدين» التي وصلتنا أسماؤها:

- «أسدُ الغابة في معرفة الصحابة» (مطبوع في خمس مجلدات).
- «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» (مطبوع في مجلّد).
- «تحف العجائب وطُرفة الغرائب» (مفقود).
- «الكامل في التاريخ» وهو الكتاب الذي نقدّم له.
- «اللباب في تهذيب الأنساب» (مطبوع في ثلاث مجلدات).

ويضيف الدكتور «حسين علي محفوظ» إليها: كتاب الجهاد، والجامع الكبير في علم البيان (كذا)، والمستَقْصَى في التاريخ. ولا نعرف عنها شيئاً.